دراسة البلاغة في ضوء الحديث النبويﷺ

Study of Rhetoric in light of the hadith of the Prophet, peace and blessings be upon him

Kubra Bano
Assistant Director Colleges District Muzaffar Garh
Email: kubrabano4455@gmail.com

Muhammad Abdullah
PST, GPS 11 Ghagh, Khanewal
ma1580643@gmail.com

Prof. Dr. Hafiz Abdul Rahim
Professor (Hazrat Bahauddin Zakariya Chair)
Dean Faculty Islamic Studies and Languages, BZlU, Multan
Email: rahim@bzu.edu.pk

Abstract:
This research article includes study of the Holy Prophet's rhetoric in his speeches. No doubt, that the Hadith of the Prophet possesses superiority due to its vast meaning and its sophisticated words and new structures and high-handed methods prevailed over the Arabic language. The Prophet's talk is away from the impurities of the apparent expressions, words and structures, but what added to the neat meanings, enabled them to speak more eloquently, then the tongues of human beings were enabled to speak, which represent in their proverbs, their wisdoms and speeches.
The characteristics of the descriptive style of the Prophet:
1 Brief understanding: This is reflected in the saying: "the words whose number is fewer and whose number of meanings is more."
2 Away from nonanimation: This is reflected in the saying: "and the workmanship, and the reward for the non-intimation."
3 Honesty and power of deduction: The deductive power is related to the validity of the meaning, and the ingenuity of the method that presents the idea, and this is evident in the saying

Keywords:
Prophet's rhetoric, Proverbs, wisdoms, Brief understanding, Honesty, power of deduction.

المقدمة

الحمد لله الّذي أنزل عَلى عبده الكتاب و لَمْ يَجْعَل له عِوَجًا نحمَده حَمدًا كثيراً طيباًمباركاً فيه. و نشـــكُرله عَلىٰ أن مَنَّ عَلَينَا بِنعمَتهِ العَظيمة حَيثُ أَنزَلَ إلَينا خير كتبه وَ أَرسَلَ إلينا أفضل رُسله وَ شَرَعَ لَنَا أَفضَلَ وَ أَخيَرَ شَرَائعَ دينه، وجَعَلنا خير أُمة أُخرجت للنّاس.

وَالصّلاة والسّلام عَلىٰ أفضلِ البَرِيَّة وآخر الخلائق الّذي جَا بنوره العِرفان مِن القرآن هدًى للنّاس و بيّناتِ مِن الهُدَى و الفُرقان وَعَلى آله وأصحابه الّذين بذلُوا قصارى جُهُودهم الجبارة لتبليغ دين الله إلى جميع أنحا العالم عِبَر العصور الماضة.

يمثل القرآن الكريم أساساً لكل مظاهر الحياة العقلية والبشريةالمتطورة الناشدة للغايات السامية والقويمة، ذات الأهداف النبيلةالساعية إلى منح الفرص المتساوية لزهو الشعوب واستقلالها في كل المجالات دائماًوأبداً. ولذلك فقد كانت آياتها لمباركة بمثابة براهين خالدة عظيمةأولت تصوير تلك المظاهر من خلالها بأبلغ الكلمات والعبارات وبأعمق المعاني والدلالات التي تسطرت تباعاًعلى صدرسيد الكائنات محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام. ومن هنا صارت آيات القرآن الكريم موضع اهتمام الأدبا كما العلما ، في إظهار رقة وجمالية الأساليب القرآنية التي كسبت القلوب وأجبرتها على الاستماع والإنصات، والخشوع عند ترديدها فيما بعد. ما يعني أن أسلوب القرآن الكريم البلاغي، كان له الأثر العميق في إرسا دور الآيات القرآنية في التبليغ والدعوة.

فلا شك أن للحديث النبوي الشريف فضلاً واضحاً من معانيه الفياضة وألفاظه المتطورة وتراكيبه الجديدة وأساليبه العالية التي أفاض بها على اللغة العربية.

لقد ابتعد حديث النبي ﷺ عن شوائب ظاهر التعابير والألفاظ والتراكيب، بل ما أضفاه على أنيق معانيها، جعلها تنطق ببلاغة أكثر، جرت بعد ذلك على ألسنة البشر، وهي تتمثل في أمثالهم وحكمهم وخطبهم، وما حملته ميزاتها العديدة التي أفرزها لها حديث الرسول ﷺ ما أفرزه، من الفنون البديعية، ومن الفنون البيانية. ولهذا باتت البلاغة عنصراً من عناصر فن القول الأدبي ولوناً من ألوان التعبير اللغوي الذي عنى به الكثيرون من القدما والمحدثين، فأفردوا له كتباً وبحوثاً عكست ذلك التنوع العجيب في إيقاعات الحديث الفنية التي بلغت فيه من الحسن والفصاحة أعلى مراتبها ومن أساليبها وفنونها أرقى سلالمها.

الحديث النبوي هو المصدر الثَّاني للتَّشريع الإسلامي، وقد جا مبيّنا لما في القرآن الكريم من أحكام؛ ففصَّل مجمله، وقيَّد مطلقه، وخصَّص عمومه، ووضَّح مشكله. وليس غريبًا أن يوليها المسلمون عنايةً خاصةً، بدأت بتدوين الحديث الشَّريف، واستنباط الأحكام منه والآداب، إلى غير ذلك. ومن جوانب العناية بالحديث الشَّريف – الوقوف على أسراره البلاغيَّة.[1]

[1] – انظر: محمد الدبل، الخصائص الفنية في الأدب النبوي،)الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت)، 10، 11.

مفهوم البلاغة

والبلاغة في اللغة تعني الوصول والانتها ،كما ورد في اللسان: "بَلغَ الشي يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى"، "وَرجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ: حسَنُ الكلام فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه."[1] وأمَّا البلاغة في الاصطلاح، فهي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته."[2]

والرُّمَّاني ينفي أن تكون البلاغة في الإفهام، أو تحقيق اللَّفظ على المعنى، بل هي في "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللَّفظ"[3].

بلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها على وجوه تأليف الكلام البليغ ....[4]

والبليغ من النَّاس من يحسن وضع كل جملة وما يشببها من الكلام في موضعها، ويستخدمها حيث ينبغي استخدامها ، ولأنَّ البلاغة مرتبطة بالأحوال والمقامات، فلا يثبت للكلام بذاته بلاغة إلا حيث يُستعمل، وُجد بين النَّاس تفاوت في مقدار بلاغة كلٍّ منهم. والحديث عن البلاغة النبوية حديث عن أسمى درجات البلاغة الإنسانيَّة. [5] فقد زَكَّى الله تعالى منطق حبيبه الرسوله –عليه الصَّلاة والسَّلام– في كتابه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: 3، 4).

إن الله تعالى لما وضع رسول الله ﷺ موضعَ البلاغ من وَحْيه ونصَبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أَعْذَبها ومن الألسن أَفصحها وأَبْينها، ثم أَمدَّه بجَوامع الكلِم التي جعلها رِدْاً لنبوّته وعلَماً لرسالته، لينتظم في القليل منها عِلْمٌ كثير يسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حَمْله، ومن تتبع الجوامع من كلامه ﷺ لم يَعْدَم بيانها.[6]

وقال ابن الأثير: ''إن رسول الله ﷺ كان أَفصحَ العرب لساناً وأَوضحَهم بياناً وأَعذبهم نطْقاً وأَسَدَّهم لفظا وأَبْيَنهم لَهجة وأَقومَهم حُجة، وأَعْرفهم بمواقع الخطاب وأَهداهم إلى طريق الصواب، تأَييداً إِلهيَّاًولفظاً سَمائِيًا

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (بَلَغ)، (بيروت: دار صادر، د. ت.)، 8/ 419، 420.

[2] – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، (بيروت: المكتبة العصرية، 1430ه)، 16.

[3] – الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط3 (مصر: دار المعارف، 1976م)، 75، 76.

[4] الس ا ي:أبو يعقوب يوسف ابن أبي ب ر (م:٦٢٦): مفتاح العلوم ، دار ال تب العلمى بيروت ص:١٧٥.١٧٨،القزويني، محمد بن عبد ا لرحمن الخطيب (م:٧٣٩) تلخيص المفتاح في المعاني و البيان و البديع ، منشورات زا دي قم إيران١٣٦٣ص:١٠.١٧،١٣.٢٣،و ال اشمي، ا لسيد أحمد ب : جوا ر البلاغ م تب المصطفوي- قم إيران١٣٤٩ص:٧ .٨،و

[5] – محمد البوطي، في الحديث الشريف والبلاغة النبويَّة، دمشق: درار الفكر، 1432ه، 45و46.

[6] الصالحي، محمد بن يوسف الشامي الإمام(م:٩٤٢): سبل ال دى و الرشاد في سير خير العباد تحقيق أحمد علي محمد دارال تب العلمى ب يروت ١٩٩٣م--

وعناية ربانية ورعاية رُوحانية، حتى لقد قال له علىٌّ رضي الله عنه وسَمِعه يخاطب وفدَ بني نَهد: يارسول الله نحن بنو أَب واحدً، ونراك تكلم وفودَ العرب بما لانَفْهم أَكثره فقال: ''أَدَّبني ربي فأَحسن تأَديبي ورِبّيت في بني سعد''. [1]

وقد قال له أَصحابه فيما رواه ابن أَبي حاتم والبيهقي ''ما رأَينا الذى هو أَفصح منك''. فقال: ''وما يمنعني وإنما أُنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وإني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر''. فجُمِعَ له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة أَلفاظ الحاضرة ورَوْنق كلامها إلى إلتأييد الإلٰهى الذي مدده الوحى الذى لايحيط بعلمه بشرى. [2]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله مالَك أَفْصَحنا ولم تَخْرج من بين أَظْهرنا؟ قال: ''كانت لغة إِسماعيل قد درست فجا بها جبريل فحفظتها''. [3]

وقالت بَرّة بنت عامر الثقفية سيّدة نسا قوْمها لإِخوتها: يابنى عامر أَفيكم من أَبصر محمداﷺ؟فقالوا: كلَّنا قد رأيناه أَيام الموسم. فقالت: أَفيكم من سمعه يتكلم؟ قالوا: نعم. فقالت: كيف هو في فصاحته؟ قالوا: يا أُختاه إن أَقْبح مَثالب العرب الكذِب، أَمَّا فصاحته فما ولدت العربُ فيما مضى ولا تلد فيما بَقَى أَفصح منه ولا أَذْرَب منه إذا تكلم يُعْجز اللبيبَ كلامُه ويخرس الخطيبَ خطَابه-[4]

وقال محمد بن عبدالرحمن الزَّهري عن أَبيه عن جدّه قال: سئل رسول الله ﷺ : أَيُدَالِك الرجلُ امرأته؟ قال: نعم. إذا كان مُلْقِحاً. فقال له أبوبكر: يارسول الله لقد طُفت في العرب وسمعت فصاحتهم فما سمعت أفصح منك- فقال: ''أَدَّبني ربي ونشأت في بني سعد بن بكر''.

---

[1] ابن الأثير، مجد الدين المبار الجزري (م:٦٠٦): النای في غريب الحديث والأثر: دار الف ر بيروت، ٤٠٣،١-ابن العجلوني ، الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي (م:١١٦٢): شف الخفاء ومزيل الإلباس على ما اشت ر على ألسن الناس،م تب دار التراث بيروت٣-١/٤.

[2] القاضي، عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي(م:٥٤٤): الشفاء في حقوق المصطفى تحقيق محمد أمين قر على ،م تب الفارابي دمشق ،-

[3] – العراقي، الحافظ زين الدين عبد الرحيم (م:٨٠٦):المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ،طبع بيروت ، ٣٦٧،٢-

[4] – الصالحي، سبل ال دى: ٩٩،٢-

دالكه: ماطَله ـ مُلْقحاً – بضم الميم وفتح القاف اسم فاعل من أَلْقَح الرجلُ فهو مُلْقِح إذا كان فقيراً. وهو غير مَقِيس. قاله في القاموس. وقال غيره: معناه أَيداعب الرجل امرأَته يعني قبل الجماع وسمّاه مَطْلا لكون غرضها الجماع . قال: إذا كان عاجزاً فيكون ذلك محركاً لشهوته ولعجزه يسميّ مُفْلساً. [1]

وقال زكريا بن يحيى بن يزيد السَّعْدي رحمه الله تعالى: قال رسول الله ﷺ: أَنا أَعْرَبُ العربِ ولِدْتُ في قريش ونشأْت في بني سَعْد فأَنَّى يأْتيني اللحن''. [2]

وقال بُرَيْدة رضي الله عنه: ''كان رسول الله ﷺ أَفصح الناس وكان يتكلم بالكلام لايَدْرون ماهو حتى يخبرهم''[3]

الحديث الشريف هو كلام النبى ﷺ الذي كان أبلغ العرب لساناً وأفصحهم لهجة، وأعذبهم أسلوباً وأروعهم حكمة وأوجزهم عبارة فلاعجب أن يكون المأثور من كلامه صفوة اللغة بعد القرآن الكريم، وسر ذلك تأثر النبى ﷺ بالقرآن الكريم الذي عليه نزل.

وكانت بلاغته ﷺ مضرب المثل، حتى عجب من ذلك البليغ المنطق الساحر البيان العذب اللسان – على بن أبي طالب، فقال يا رسول الله ﷺ نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه، فمن علمك؟ فقال رسول الله ﷺ ''أدبني ربي فأحسن تأديبي'' ،كما سبق. وهكذاقال له صفيه وصديقه أبوبكر رضي الله عنه لقد طفت في العرب وسمعت فصحا هم فما سمعت الذي هو أفصح منك فمن أدبك؟ وكان النبي ﷺ يقول: ''أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في سعد بن بكر''.[4]

ومن الطبيعى أن السفارة بين الخالق والمخلوق لا جرم تعتمد على البيان الخلاب والمنطق الجذاب، والعقل المتخير الفاتن، والكلام العذب الذي تملك به النفوس تؤسر الألباب والعقول.

وإذا كان العرب أمة البلاغة وأئمة الفصاحة وبها يفاخرون ويتباهون . فلابد للرسول ﷺ الذي يرسل إليهم يبلغهم عن ربهم، ويهدم عقائدهم الباطلة ومذاهبهم الزائفة، ويغير ما ألفوا من عادات، وماورثوا من تقاليد

---

[1] – المصدر نفس -

[2] – العجلوني، شف الخفاء :١،٢٣٢-

[3] – القاضي عياض ، الشفاء :١،٤٧،والصالحي ، سبل ال دى :٢،١٠٠-

[4] – ال ندي ، نز العمال: حديث رقم ٣١٨٧٣(١،٤٠٢)-

أن يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقه أروع من منطقهم، وخطابه أجل أثراً وأعظم قدراً وأعلى شـــأناً من خطابهم-

وأما بيانه ﷺ فكان يشـرق من طبع مهذب مصـقول؛ إذ نشـأ وتقلب في أفصـح القبائل وأصـحهالهجة، وذلك لأن مولده في بني هاشم، وهم ذروة قريش سلاسة لسان وسماحة بيان.

فكان رسـول الله ﷺ يخاطب العرب على اختلاف شـعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصـائلهم يخاطب كلا منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يَعْلمونه، ولذلك قال صـدَّق اللهتعالى قوله: ''أمرت أَن أُخاطب الناسَ على قَدْر عقولهم''. [1] فكأن الله تعالى قد أَعْلمه مالم يكن يعلمه غيره من بين أَبيه وجمع فيه ما تفرَّق ولم يوجد في قاصـي العرب ودانِيه، وكان أَصـحابه رضـي الله تعالى عنهم ومن يفد إِليه من العرب يعرفون أَكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيوضِّحه لهم.

وأَمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذي لا يُجْهل، سَلاسة طَبْع وبراعة مَنْزع وإِيجاز مَقْطع ونَصـاعة لفظ وجَزالة قولٍ وصـحة معانٍ وقِلة تكلُّف، أُوتيﷺ جوامِعَ الكلم وخُصّ ببدائع الحكم وعَلِم ألسـنة العرب، يخاطب كلَّ أُمةبلسـانها ويُحَاوِرها بلغتها ويُبارِيها في مَنزع بلاغتها، حتى كان كثير من أَصحابهﷺ يسأَلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله، من تأَمَّلَ حديثَه وسِيرَه عَلم ذلك وتحقَّقه.[2]

ففصـاحة لسـانهﷺ غاية لايدرك مَداها ومنزلَة لا يدانى منتهاها وكيف لايكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إِليه عبادَه، فهو ينطق بحكمة عن أَمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذكره، أَفصـح خَلق الله إِذا لفظ وأَنصـحهم إِذا وعظ، لايقول هجْراً ولا ينطق هذَراً، كلامه كله يُثْمر عِلْما ويُمَثل شـرعاًوحُكماً لا يتفوَّه بشَـرٌبكلام أَحكم منه في مقالته ولا أَجْزَل منه في عذوبته، وخليقٌ بمن عبَّر عن مراد الله بلسـانه وأقام الحجة على عباده ببيانه، وبيَّن مواضـع فروضـه وأَوامره ونواهيه وزواجره، أَن يكون أَحْكم الخلق تِبْياناً وأَفصـحهم لسـاناً وأَوضـحهم بيَاناً، وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصـاحته إِلى شـاهد ولاينكرها موافقٌ ولا معاند.[3]

---

[1] – ابن الأثير ، الن اى ، المقدم : ١، ٤٣-

[2] – القاضي عياض ، الشفاء : ١، ٤٧-

[3] – الصالحي،سبل ال دى:٧، ٩٤-

أَمَّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلُومة وجوامع كلمه وحِكمه المأثورة وأمثاله التي لم يسبق إليها أحد فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها مالا يوازي فصاحة ولايباري بلاغة ، [1] كما قال الجاحظ:

''هذا مما خصه عزوجل بالإيجاز وقلة عدد اللفظ، مع كثرة المعاني، قوله ﷺ: ''نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم''.[2]

فأضاف إليه الجاحظ بأسلوبه الخاص:

''هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عنه الصنعة، ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِيْنَ﴾ (سورةص: 86) فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب- واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلاَّ بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيِّد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغناهُ عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودة لم تسقط له كلمة، ولاذلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ، إلاَّ بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولايلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج، إلا بالصدق ولا يطلب الفلج، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ كثيرا.''[3] وإليكم نبذة موجزة مماورد في كتب الحديث النبوي وكتب الأدب العربي:

١ الناس كلهم سوا كأسنان المشط: [4]

لا فرق بني آدم من ناحية أصل الخلقة-

---

[1] – القاضي عياض ، الشفاء :١،٤٧-

[2] – الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر(م:٢٥٥ ،٨٦٨م): البيان و التبيين،تحقيق عبدالسلام محمد ارون-دار الجيل بيروت، ٢،١٨-

[3] – المصدر نفس -

[4] ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(م:٥٩٧): الموضوعات ، الم تب السلفى بالمدين المنور ٣،١٩٦٨، ٨٠ ، ال ندي، نز العمال: حديث رقم ٢٤٨٢٢(٩/٣٨)

٢ ياخيل الله اركبي: [1]

أيها الفرسان استعدوا للجهاد في سبيل الله.

٣ مات حتف أنفه:[2]

الحتف: الهلاك، ومعناه: مات على فراشه بلا ضرب ولا قتل، وذلك أن العرب كانت تتخيل أن المر إذا قتل خرج روحه من مقتله، وإذا مات بلا قتل فقد خرج روحه من أنفه أو من فيه- والحاصل الذي مات على طبيعته فخرجت روحه من أنفه . [3]

يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ماسمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول: ''مات حتف أنفه'' وما سمعتها من عربي قبله، يريد مات على فراشه. [4] قال الفيروز آبادي: وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه. [5] وقال ابن الأثير: كانوايتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه، فإن جرح خرجت من جراحه.[6]

ويقول الأستاذ الرافعي:

''إن موت الرجل عن فراشه من غير حرب ولا قتال ولا أمر يؤرخ به في الألسنة مما كانوا يأنفون له. والحتف : الهلاك فكأن صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياؤه، فلم يرفع الموت أنفه في القوم بل أذله وأرغمه فكان به هلاكه، لأن حياته كانت في عزته وعزته كانت في أنفه، وأنفه هو الذي كبه على الموت، وإنما مجاز العبارة كما يقال في الكبر: ورم أنفه، وفي العزة حمى أنفه، وكما يقال غضبه على طرف الأنف إذا كان سريع الغضب، وجعل أنفه في قفاه إذا ضل.....'' . [7]

٤ لاتنتطح فيه عنزان :[8]

---

[1] الطبراني ،الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد (م:٣٦٠): المعجم ال بير ، دار إحياء التراث العربي بيروت-١،٣٤٣، -

[2] – الجاحظ ، البيان والتبيين :٢،٤،١٥،٢٩، والصا لحي ، سبل ال دى :٢،٩٧-

[3] ابن المنظور ، جمال الدين محمد بن م رم الأفريقي(م :٧١١): لسان العرب ، تنسيق وتعليق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩ ٨٨م ـ ماد (حتف)-

[4] – ابن الأثير ، الن اى :ماد (حتف)-

[5] – الفيروز آبادي ، العلام مجد الدين محمد بن يعقوب(م:٨١٧):القاموس المحيط دار إحياء التراث العربي بيروت١٩٩١م ـماد (حتف،أنف)-

[6] – ابن الأثير ، الن اى : ماد (حتف)-

[7] – الرافعي، مصطفى صادق (م:١٣٥٦): إعجاز القرآن والبلاغ النبوى دار ال تاب العربي بيروت-ص١١١

[8] ابن الأثير ، الن اى : ماد (عنز ، نطح) ٥،٧٤، و العجلوني، شف الخفاء : ٣،٥٢٤، الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢،١٥،

إذا اجتمع اثنان على رأي دون الخلاف بينهما فيقال: هذا أمر ''لاتنتطح فيه عنزان'' أي: لايختلف فيه اثنان. هذه إشارة خفية مخصوصة لايجرى فيها خلاف ولانزاع .

٥ الآن حمى الوطيس: [1]

الوطيس: حفرة يختبز فيها ويشوى، ويقال..... عند شدة الحرب حين تكشف عن ساقيها أي: اشتدت الحرب. وهو كناية عن شدة الأمر واضطراب الحرب. ويقال: إن هذه من الرسول ﷺ لما اشتد البأس يؤمئذ ولم تسمع قبله.[2] وذلك للدلالة على شدة الحرب واستعار نارها والتهاب شررها- فإن الوطيس التنور ومجتمع النيران واستعير لشدة الحرب.

٦ لاتحبق فيه عناق:

إذا كان الأمر هيناً ولا قمة له أكثر من عناق، فيقال: هذا أمر لا تحبق فيه عناق.

٧ كل الصيد في جوف الفرا :

كل الصيد دون حمار الوحش: يقال لمن يفضل على أقوم في نيل مال عظيم ويستغني عن غيره- قاله حين استأذن أبو سفيان عليه فحجب قليلاً ثم أذن له، فلما دخل عليه قال: ماكدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين. فقال ﷺ: هذا القول يتألفه على الإسلام. والجهلة: ناحية الوادي. وقال ابن الأثير: أنت في الصيد كحمار الوحش. كل الصيد دونه أي أقله. ويقال: أيضاً ''كل الصيد.....'' إذا حصل الإنسان على أفضل شي فإنه يستغني عنه دونه. [3]

٨ هدنة على دخن، وجماعة على أقذا : [4]

صلح على فساد باطن وجمع على غير صفا القلوب- يعنى الصلح على حقد باطن .و يضرب هذا المثل في صلح الناس والقلوب غير صافية لأن هذا الصلح لا ينفع بشي بل يؤدي إلى فساد.

وندي، نز العمال : حديث رقم ٤٤١٣١،(١٦،١٢٠)-

[1] مسلم بن الحجاج الإمام أبو الحسين القشيري النيسابوري (م:٢٦١): الجامع الصحيح دار إحياء التراث العربي بيروت، حديث رقم ١٧٧٠٧٦ ،٥،(١٣٩٩،٣)-

[2] – ابن الأثير ، الن اى : ماد (وطس)، والرافعي، إعجاز القرآن :١١١-

[3] – الصالحي، سبل ال دى:٢،٩٧، و انظر ابن الأثير ، الن اى :ماد (صيد، فرأ)-

[4] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (م:٢٧٥): السنن تاب الفتن، باب ٣٩، حديث رقم ٤٥٤٢،(٤،٧٤)، والحا م ،محمد بن عبدا الله النيسابوري (م:٤٠٥): المستدر دار المعرف بيروت ٤،٤٣٣-

٩ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين: [1]

يكون المؤمن حازماً فليس له أن يتحمل الضرر من نفس شي مرة بعد مرة. قال: لأبي عزة الشاعر، وكان يحرض عليه..... فأسره يوم بدر ثم منَّ عليه وأطلقه، فعاد إلى سيرته، فأسر يوم أحد وسأل النبي ﷺ أن يمن عليه . فقال له: ''لايلدغ المؤمن.....''.

١٠ لاخلاط، ولاوراط ولا شناق، ولا شغار:

خلاط: أن يخلط رجل إبله بإبل غير أو غنمه، ليمنع حق الله منها، ويبخس المصدق فيما يجب له، وهو معنى قوله في الحديث الآخر:'لايجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة''.[2]

وراط: الخديعة والغش.

شناق: ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة، وهو ما زاد على الإبل من الخمس إلى التسع، وما زاد منها على العشر إلى أربع عشرة: أي لا يؤخذ في الزيادة على الفريضة زكاة إلى أنه تبلغ الفريضة الأخرى. [3]

شغار: أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته، ويكون مهر كل واحدة منها بضع الأخرى، وقد كان في الجاهلية.[4]

١١ فمن أجبى فقد أربى: الإجبا بيع الذرع قبل إدراكه. والإربا من الربا أى الربح والفائدة. [5]

١٢ خير المال عين ساهرة ، لعين نائمة: [6] عين ساهرة : أى عين ما تجري ليلا ونهاراً وصاحبها نائم أراد عين الما التي تجري ولا تنقطع ليلاً ونهاراً فجعل النهر مثلاً لجريها وعين الما حياة للناس.

١٣ ليس منا من حلق أو صلق أو شق:[7]

حلق: من حلق شعره عند المصيبة إذا حلت به.

---

[1] البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (م:٢٥٦): الجامع الصحيح حديث رقم ٦١٣٣ تاب الأدب باب (٨٣) دارالسلام الرياض ١٩٩٧م،ص١٣٠٠ و مسلم، الجامع الصحيح ، حديث رقم ٢٩٩٨.٦٣، (٤،٢٢٩٥)-

[2] – ابن الأثير ، الن اى : ماد (خلط) و الجاحظ ، البيان والتبيين :٢،٢٧-

[3] – ابن الأثير ،الن اى : ماد (شنق)و الجاحظ ، البيان والتبيين :٢،٢٧-

[4] – المصدر نفس : ماد (شغر)

[5] – المصدر نفس ، و الجاحظ ، البيان والتبيين :٢،٢٧-

[6] – انظر الجاحظ، البيان والتبيين: ٢،٢٠-

[7] – المصدر نفس -

صلق: صاح بالويل/بالعويل. فرفع الصوت الشديد فى المصائب وعند الفجيعة بالموت ويدخل فيه النوح.

شق: من شق الجيوب أو ضرب الخدود أو قتل نفسه عند المصيبة. والحاصل فليس من عادة المسلم أن يرتكب مثل هذه الأفعال المذكورة.

١٤ نهيتكم عن عقوق الأمهات ، ووأدالبنات ، ومنع وهات:[1]

نهيتكم عن معصية الأمهات، ودفن البنات حية، ومنع ما عليه إعطاؤه وسلب ما ليس له كالبخل والطمع.[2]

١٥ الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة:[3]

المرادبه المرضى المنتخب من الناس كالنجيب من الإبل القوي على الأحمال والأسفار والكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل كقلة الراحلة في الإبل.

الراحلة : هي النجيب البعير القوي على الأحمال والأسفار- يعنى به النجيب التام الخلق الحسن المنظر.[4]

ما أملق تاجر صدوق: ما أفلس تاجر صدوق.

ماقَلَّ وكفى خير مما كثر وألهى:[5] المال القليل الذي يكفي للحاجات أفضل من المال الكثير الذي يغفل صاحبه عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

١٦ لايوردن مجرب على مصح: [6]

لايورد ممرض على مصحح الذي له ابل مرضى، فنهى أن يسقى ابله المرض مع ابن المصحح. [7]

مجرب: من عنده الإبل المصاب بمرض ''الجرب''.

مصحح: من عنده ابن صحيح.

---

[1] – المصدر نفس ، و الصالحي، سبل ال دى:٢،٩٦-

[2] – ابن الأثير ، الن اى : ماد (منع)-

[3] – الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢،٢٠-

[4] – المصدر نفس ، و ابن منظور، لسان العرب : ماد (ابل)-

[5] – الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢،٢٠-

[6] – المصدر نفس -

[7] – ابن الأثير ، الن اى ماد (جرب)، و ابن منظور، لسان العرب : ماد (جرب)-

١٧ لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه، ولا يجلس: [1]

لا يؤمن: أي لا يجعلن مأمونا. من قولهم: أم الإمام الناس في الصـــلاة كان إمامهم ويعني بفراش التكرمة ما يعدُّ من الفرش والسرر لإكرام الرجل.

١٨ إياكم والمشارة فإنها تميت الغرة وتحي العرة: [2]

اتقوا من المشاجرة والمنازعة لأنها تسبب لذهاب الوقار وإحيا القذر.

المشارة: المنازعة، العرة: القذر.

١٩ أعوذ باالله من الأعميين، وبوار الأيم: [3]

المراد بالأعميين: الحريق والسيل.

والمراد بالأيم: الأيم في الأصل التي لا زرج لها، بكراً كانت أو ثيباًوهي مع ذلك لايرغب فيها أحد.

بوار: كســـاد، كســـاد الأيم أي لا قيمة لها. والمعنى أعوذ باالله من الحريق والســـيل وعدم أهمية الأيم- بوار: الأرض التي لا زرع.[4]

٢٠ ذب إليكم دا الأمم من قبلكم: الحســـد---- هي الحالقة: الحالقة هي التي من شـــأنها من أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما تستأصل الموس الشعر ويراد بالحالقة : قطيعة الرحم والتظالم والقول السئ . [5]

٢١ لوتكاشفتم لما تدافنتم: [6]

التكاشف: إبدا امرئ كل ما في نفسه لصاحبه- والتدافن : التكاتم والمعنى: لوكشف أحدكم عن سره لما كتم.

---

[1] – الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢،٢١-

[2] – المصدر نفس -

[3] – المصدر نفس -

[4] – ابن الأثير ، الن اى ماد (ايم،بعد) ، و ابن منظور، لسان العرب : ماد (أيم ، بور)-

[5] – المصدران نفس ما-

[6] – الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢،٢٣، و ابن الأثير ، الن اى : ماد (شف)٢،١٣٣.١٣٤-

٢٢ قيدوا العلم بالكتاب: [1]

أثبتوه/ ضبطوه بالكتاب أي القرآن أو بالكتابة.

٢٣ في السيوب الخمس:[2] السيب تفاح فارسي، وبه سمى سيبويه. والمعنى: سيب تفاح ووية رائحته، فكأنه رائحة تفاح- سيوب جمع سيب أي: العطا ، العرف، النافلة يعني الركاز وهي المعادن. ويراد به المال المدفون في الجاهلية.[3]

٢٤ المر كثير بأخيه: [4]

من ارتبط ارتباطاً صحيحاً بإخوانه أو عشيرته فهو غالب على كل من سواه! لأنهم يساعدونه عند المصيبة.

٢٥ المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم[5] كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع لا يسعهم التخاذل.

٢٦ اليد العليا خير من اليد السفلى: [6]

المعطى أفضل من السائل.

٢٧ ابدأ بمن تعول: [7](٥٦)

أنفق أولاً على من تتكفل به كالأولاد ثم الذين يحتاجون إلى عونك من الأقربا والأصدقا .

٢٨ لاتجن يمينك على شمالك: الظلم على العشـــيرة كالظلم على نفســـه، فمن ظلم على إخوانه أو عشيرته فقد ظلم على نفسه.[8]

---

[1] – ال ندي ، نز العمال : حديث رقم ٢٩٥٥١(٣٠٩،١٠)، و ابن عبد البر ، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله (م:٤٦٣):جامع بيان العلم : طبع بمصر ١٣٤٦ ٧٢،١ ، و البغدادي، الحافظ أبو ب ر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (م: ٤٦٢):تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، دار إحياء السن النبوى ط: ١٩٧٤م ص ٧٠.٦٨، و ال يثمي، نور الدين علي بن أبي ب ر (م:٨٠٧): مجمع الزوائد طبع حسام الدين القدسي ١٥٢،١-

[2] – الجاحظ ، البيان والتبيين :٢٧،٢-

[3] – المصدر نفس ، و ابن منظور ، لسان العرب : ماد (سيب)-

[4] – الجاحظ ، البيان والتبيين ١٩،٢-

[5] أبو داود : السنن ، حديث رقم ٤٥٣٠ (٦٦٦،٤)، و البى قي ، أبو ب ر أحمد بن الحسين (م:٤٥٨):السنن ال برى دارال تب العلمى بيروت، ٢٩،٨، و أحمد بن حنبل (م:):المسند ، دار ال تب العلمى بيروت ١٩٧٨م. (٢٢٢،١)-

[6] – الجاحظ ، البيان والتبيين ١٩،٢-

[7] – المصدر نفس - المصدر نفس -

[8] – ذ ر القاضي عياض في الشفاء :٤٧،١ باللفظ الأوّل ،و أبو داود في السنن ٦٨٤،٢ حديث رقم ٤٨٧٣ باللفظ الثاني -

هذه من كلمات النبىﷺ التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد أن يفرغ فى قالبه عليها .

أما أحاديثه ﷺ فيقول: ''مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع''. [1]

أما البخيل فكلما أراد أن يخرج من طبيعته كزت وضاقت، وحضرته كل أسباب الشح الكنود، فلا يستطيع أن يقدم خيراً، أو يطالع المجتمع الذي يعيش فيه بحسنة. [2]

المعنى: أن الجواد الكريم إذاهم بالنفقة انشرح لذلك صدره، وطاوعته يداه فامتدتا بالعطا . وأما البخيل، فإذاحدت نفسه بالصدقة ضاق صدره وانقبضت يده.

فهذا تصوير محكم رائع لحال المنفق وحال البخيل لا تكاد النفس تنتهي منه عجباً، تصوير لقوة الطبيعة لدى السخي التي تستهين بكل عقبة، وتتغلب على كل صعوبة، وتثور ثورتها العاتية على القيود والحدود والحواجز حتى تسلس الطبيعة وتنقاد وتعتاد البذل والعطا ، وتلبس صاحبها فتخفي كل مافيه من عيب، وتمحو كل ما يند عنه من سيئة .﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾. (هود : ١١٤،١١-)

التشبيه أسلوب لأنه هو الطريقة التى يُتَوَصَّلُ بها إلى المراد فهى معنوية كماهو من الأساليب البلاغية الراقية ، التى تميزت بها اللغة العربية. والقرآن الكريم والحديث النبوي مليئان بالأساليب البلاغية الجذابة التى تستأثر باهتمام المخاطبين وتجذب انتباههم ، ومنها التشبيه ، ولذاكان له أثرٌ فى مجال الدعوة إلى الله. ونقدم هنا ما ورد فى الجامع الصحيح للإمام البخارى:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا

[1] البخاري، الجامع الصحيح تاب الز ا ، باب(٢٧)، حديث رقم ١٣٧٥ أخرج عن أبي رير ،و مسلم،الجامع الصحيح تاب الز ا باب م ثل المنفق والبخيل، حديث رقم ١٠٢١-

[2] – السلموت ، عبد الحميد محمود الد تور : الأدب العربي بين الجا لى و الإسلام- الجامع الليبى ١٩٧٣م ص٣٩١-

فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"

قال ابن حجر رحمه فى الفتح : "الصلصلة وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين ، والجرس الجلجل الذى يعلق فى رؤوس الدواب واشتقاقه من الجرْس بإسكان الرا وهو الحسّ .

المشبَّه : الوحى المشبه به : صوت الجرس وجه الشبه : قوة الصوت ." أثر هذا التشبيه فى الدعوة إلى الله : حصول الفهم عند المخاطبين لأن هدف التشبيه كما ذكره الإمام ابن حجر فى الفتح والإمام القسطلانى فى إرشاد السارى هو: ذِكْرُ ما أَلِفَ السامعون سماعه " صلصلة الجرس " تقريباً – للصورة المعروضة وهى الوحى – لأفهامهم . ثم يقال : ولاريب أن الوحى أمر غريب على الصحابة ولم يألفوه فى أسماعهم فناسب تقريبه لها باستخدام وسيلة الجرس – وهى وسيلة محسوسة أَلِفَها المخاطبون فى حياتهم – كما ناسب استخدام أسلوب التشبيه الذى يقرّب الفهم للأذهان كما هو معهود فى لغة العرب ."[1]

فهل هناك تصوير أروع وأمتع وأبدع من هذا التصوير؟!

والرسول ﷺ يصف حالة من حالات الناس تفشو في مجتمعاتهم وتشيع بينهم في بعض الأحيان، كما يشيع الوبا الفاتك والمرض القاتل: حالة الاستهتار بحدود الله والاستهانة بآداب الدين، والخروج على الأوضاع الصحيحة، والتبجح بما يسمونه حرية.

وهكذا يقول النبىﷺ : ''مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الما مروا على من فوقهم ، فقالوا: لوأنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادواهلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً '' .[2]

فهل هناك أبلغ من هذا في الدعوة إلى الضرب على أيدي العابثين بالحدود المنتهكين للحرمات الناهشين أعراض المحصنات

الغافلات!

[1] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم2

[2] – البخاري ، الجامع الصحيح تاب الشر ، باب ٦ حديث رقم ٢٣٦١، أخرج عن النعمان بن بشير -

كما قال النبيَّ ﷺ : ''إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّـالِحِ وجَلِيسِ السُّـوْ ، كحَامِلِ المِسْـك ونافِك الكيرِ، فحامل المِسْك إمَّا أن يُحْذِيَك، وإمَّا أن تَبْتَاعَ مِنْه، وإمَّا أنْ تَجدَ مِنْه ريحاً طَيِّبَة، ونافخُ الكبير إمَّا يُحْرِقَ ثيابَك، وإمَّا أنْ تَجدَ مِنْه ريحَاً مُنْتِنَة''. [1](٧٣)

التوضيح:

إنما: أداة حصـر، والمَثَلُ بفتحتين: الشـأن العجيب، والأمر الغريب ويسـتعمل في تقريب البعيد، وتوضـيح الغامض- قال تعالى: ﴿وَتِلْك الْأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُها إِلَّا الْعَالِمُوْن﴾ (العنكبوت : ٢٩،٤٣-) الأمثال لها أثرعظيم في النفوس ولذلك فقد أكثر منها القرآن.

الجليس الصالح :يراد بالجليس الصالح هنا الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة،كما ورد في الحديث الشريف : ''لاتُصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تَقِيّ''.[2]

جليس السو : يراد به الصديق والصاحب السي الذي فسدت طباعه وسا ت أخلاقه السَوْ بالفتح مصدر وبالضم اسم مصدر وقال اللغويون يجوز: فتح السين وضمها-

حامل المسـك:المراد بحامل المسـك بائع المسـك وهو الطيب الذي يتطيب به الناس والمقصـود منه هنا هو ''بائع العطورات'' لأنه يقابل (الحداد) نافخ الكير.

نافخ الكير:الكير: هو حانون الحدَّادِ. وأمَّا نافخ الكير فالمراد به الحدَّاد الذي ينفخ النار على الحديد حتى يحمَّر فيستعمله.

تبتاع منه:أي تشـتري منه وهو فعل مضـارع من باب الافتعال للمبالغة في طلب البيع،كما وردفي الحديث الشريف: ''إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لها لا أربح الله تجارتك''.[3]

ريحاً مُنتنة:أي رائحة كريهة تنفر منها النفس، يقال أنتن الطعام إذا فسد وانتشرت منه رائحة خبيثة، كماورد في الحديث: ''دَعُوها فإنها مُنْتِنة''. [4] وهي قولهم يا للأنصار ويا للمهاجرين--الخ.

---

[1] البخاري ، الجامع الصحيح تاب الذبائح باب ٣١ ، حديث رقم ٥٢١٤، و مسلم، الجامع الصحيح تاب الصيد والذبائح ،باب إباح الض ب حديث رقم ١٩٤٣-

[2] – الترمذي ، الجامع ، تاب الز د ، باب ٥٥ ، حديث رقم ٢٣٩٥(٤،٥١٩) أخرج عن أبي سعيد -

[3] – الترمذي ، الجامع ، تاب البيوع باب ٧٧، حديث رقم ١٣٢١،(٣،٦١١) أخرج عن أبي رير -

[4] – البخاري ، الجامع الصحيح تاب الطب ، باب (٥٠) حديث رقم ٥٤٣٤-

ما أروعه من معنى وما أجمله من تصـــوير! تتجلى فيه البلاغة النبوية وروعة البيان، ''وإن من البيان لسحرا''.[1]، صورة حية صادقة للجليس. فالجليس الصالح هو الذي ترتاح إليه نفسك، ويطمئن به فؤادك وتنتعش روحك-- تطرب لحديثه وتنعم بمجالسته، وتسعد بصحبته، إنه عدة في الرخا وزينة في الشدة، وبلسم الفؤاد وراحة النفس .

وقد شبهه الرسول ﷺ ببائع الطيب، الذي ينفخك بعطره ويغمرك بنشره فإما ان يهديك وإما أن تجد عنده ريحا طيبة، فأنت معه في ربح دائم ونشوة غامرة.

أما جليس السو فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحدَّاد، الذي ينفخ بكيره، فأنت معه في خسارة دائمة فإن لم يحرقك بناره، أحرقك بشراره فصحبته هم دائم، وحزن لازم.

وهكذا يقولون: ''من جالس جانس لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلسا '' ولهذا أمر الباري تبارك وتعالى بصحبة الصالحين: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة : ١١٩،٩)

ملخص البحث

ومن هنا نرى أن بلاغة النبى ﷺ وأسلوبه وقوة بيانه وشدة إتقانه وعلوشأنه في اللغة، هي المنح التي يهبها خالق الإنسانية لمن يختاره ويؤثره في سفارة إلى الإنسانية، كما عصمه الله من لدن طفولته من الرجس والدنس، وحفظه من شرور الجاهلية وسوآتها، كذلك عدل لسانه وقوم بيانه وأرهف منطقه، وأفاض عليه من لدنه قوة بيانية يستطيع بها أن يناضل عن دعوته وينافع دون رسالته..... ﴿وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْه مَنْ يَّشَآ ،وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْك عَظِيْمًا﴾.

يطيب لنا أن نستخلص من هذا البحث بعض صفات الأسلوب النبوي فيما يلي:

1- الإيجاز المفهم:

وتتجلى هذه الصفة في قوله: " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه"

" وجمع له بين المهابة والحلاوة, وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام"

" بل يبذ الخطيب الطوال بالقصار"

2- البعد عن التكلف:

وهذه يتجلى في قوله:

[1] – الترمذي ، الجامع ، تاب التفسير باب (٦٣)، حديث رقم ٣٣١٥،(٣٨٩،٥) أخرج عن جابر بن عبد الله -

" وجل عن الصنعة, ونزه عن التكلف"

" فكيف وقد عاب التشديق, وجانب أصحاب التعقيب"

" وهجر الغريب الوحشي, ورغب عن الهجين السوقي"

مراعاة الموقف ومناسبة الأسلوب له:

3- وهذا ما يستنبط من قوله:

" واستعمل المبسوط في موضع البسط, والمقصور في موضع القصر"

" ولا يسهب ولا يحصر"

4- الحلاوة والجزالة, والفصاحة والبيان:

و تتجلى كل منها في قوله: " وجمع بين المهابة والحلاوة "

" ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا, ولا أقصر لفظا, ...ولا أبين فحوى من كلامه"

5- الصدق وقوة الحجة:

وقوة الحجة ترتبط بصحة المعنى, وبراعة الأسلوب الذي يعرض الفكرة, وتتضح هذه الصفة في قوله:

" لم تسقط له كلمة,..... خطيب"

" ولا يلتمس الخصم..... ولا يعجل"

ومن هذا المنطلق عرضنا بين أيدي القارئ نبذة موجزة من بلاغة النبي- صلى الله عليه وسلم-